مكانة مصر في الإسلام

ذكر مصر في القرآن الكريم

لقد كان لمصر قبل فتحها مكانة كبيرة في الإسلام وعند المسلمين فقد ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم تصريحاً أربع مرات :

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾[يوسف : ٢١]

﴿ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف : ٩٩]

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾[يونس:٨٧]

وقال تعالى حاكياً عن فرعون ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾[الزخرف:٥١]

ليس هذا فقط بل تحدَّث الله تعالى عن بعض معالمها ورجالها في نحو ٣٠ موضعاً كقوله تعالى : ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ﴾ [القصص:١٥] يعني : مصر .

وقوله جل وعلا ﴿قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾[الأعراف:١٠٩] إلى آخر هذه المواضع .

ولم يصرِّح القرآن الكريم باسم أحد كما صرَّح باسم فرعون حاكم مصر حيث ذكره الله تعالى ٧٤ مرة . (١) كما لم يصرِّح الله تعالى باسم نبي

---

(١) محمد عبد الباقي " المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم " دار الحديث ص ٥١٥ ، ٥١٦.

كما صرَّح باسم "موسى" الذي أرسله إلي فرعون وسكَّان مصر حيث جاء ذكر كلمة موسى في القرآن الكريم ١٣٦ مرة . (١)

هل زار النبي ﷺ مصر ؟

ولقد ذُكرت مصر في رحلة الإسراء والمعراج ثلاث مرات :

فقد توقَّف سيدنا محمد ﷺ عند مصر في رحلة الإسراء وصلَّى فوق جبل طور سيناء ركعتين بأمر من سيدنا جبريل ، وقد بشَّره جبريل بفتح المسلمين لها .

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : " أُتِيتُ بِدَابَّةٍ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ خَطْوُهَا عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهَا فَرَكِبْتُ وَمَعِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام فَسِرْتُ فَقَالَ انْزِلْ فَصَلِّ فَفَعَلْتُ فَقَالَ أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ صَلَّيْتَ بِطَيْبَةَ وَإِلَيْهَا الْمُهَاجَرُ ثُمَّ قَالَ انْزِلْ فَصَلِّ فَصَلَّيْتُ فَقَالَ أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ صَلَّيْتَ بِطُورِ سَيْنَاءَ حَيْثُ كَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى ﷺ "

[رواه النسائي والبيهقي والطبراني]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا ، أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ ، فَقُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ ؟ فَقَالَ : هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلادِهَا ، قَالَ : قُلْتُ : وَمَا شَأْنُهَا ؟ قَالَ : بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ سَقَطَتْ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا ، فَقَالَتْ : بِسْمِ اللَّهِ ، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ : أَبِي ؟ قَالَتْ : لا ، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللَّهُ ، قَالَتْ : أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ !

---

(١) نفسه ص ٦٨٠- ٦٨٢ .

قَالَتْ : نَعَمْ ، فَأَخْبَرَتْهُ ، فَدَعَاهَا فَقَالَ : يَا فُلانَةُ ؛ وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ؛ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ ، فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلادُهَا فِيهَا ، قَالَتْ لَهُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ، قَالَ : وَمَا حَاجَتُكِ ؟ قَالَتْ : أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنَنَا ، قَالَ : ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنْ الْحَقِّ ، قَالَ : فَأَمَرَ بِأَوْلادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنْ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ ، وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ ، قَالَ : يَا أُمَّهْ ؛ اقْتَحِمِي فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ ، فَاقْتَحَمَتْ "

[رواه أحمد والطبراني والحاكم وابن حبان]

كما رأى النبي ﷺ نهر النيل عند سدرة المنتهى .

" ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ قَالَ هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ فَقُلْتُ مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ " [متفق عليه]

ففي رحلة الإسراء والمعراج فقط ذكرت مصر ثلاث مرات دلالة على مكانتها العظيمة .

كتاب الرسول إلى المقوقس

كاتَب النبيُّ ﷺ المقوقسَ حاكمها وقَبِلَ هداياه ، وأوصى بأهلها خيراً ، وبشَّر بأن جندها خير أجناد الأرض ذلك أنهم في رباط إلى يوم القيامة.

ومما جاء في كتاب النبي للمقوقس

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط :سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعوة الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين.﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤]

وتقول الرواية: إن المقوقس لما قرأ الكتاب سأل حامله حاطب بن أبي بلتعة : ما منع صاحبك إن كان نبيا أن يدعو على من أخرجوه من بلده فيسلط الله عليهم السوء؟ فقال حاطب : وما منع عيسى أن يدعو على أولئك الذين تآمروا عليه ليقتلوه فيسلط الله عليهم ما يستحقون؟ فقال المقوقس :أنت حكيم، جئت من عند حكيم.

رد المقوقس وهداياه

رد المقوقس على رسالة النبي ﷺ برسالة ذكرها ابن عبد الحكم. نصه : " لمحمد بن عبد الله، من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك. أما بعد، فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه. وقد علمت أن نبياً قد بقى وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم و كسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك ."

لماذا اتجهت أنظار المسلمين لفتح مصر ؟

اتَّجهت أنظار المسلمين لفتح مصر لأن النبي ﷺ بشَّرهم بفتحها.

عن عمر بن الخطاب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيراً فذلك الجند خير أجناد الأرض فقال أبو بكر ولم يا رسول الله قال لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة . " (١)

كما اتجهت أنظار المسلمين ناحية مصر لفتحها لأنها مهد الحضارات ودرَّة التاج البيزنطي .

يقول أحمد أمين : " فتحت مصر مهد المدنيَّة القديمة ، والوارثة لحضارة المصريين واليونان والرومان ، وبها الإسكندريَّة مجمع المذاهب الفلسفيَّة والطوائف الدينيَّة ، ملتقى الآراء الشرقيَّة والغربيَّة " (٢)

وبعد أن فتح المسلمون الشام استقَّر رأي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على فتح مصر ، واختار لهذه المهَّمة عمرو بن العاص الذي أسرع نحو مصر واستطاع بجيشه الصغير ، الذي يتراوح بين ثلاثة وأربعة آلاف مقاتل ، أن يخترق سيناء دون جهد ، فوصل من رفح حتى بلبيس لم يقابله إلا حاميات قليلة من البيزنطيين ، كان أهمها في العريش التي استولى عليها في ذي الحجة ١٨ هـ / ديسمبر ٦٣٩ م ثم تقدَّم حتى وصل إلى أقوى الحصون البيزنطيَّة في شرق مصر عند بلدة "الفرما" وهناك وقع التحام بين جيش المسلمين والبيزنطيين واستمرَّ القتال شهراً أو شهرين حتى اقتحمه المسلمون في المحرم ١٩ هـ ،

---

(١) ذكره ابن عبد الحكم في فتوح مصر ، وأخرجه ابن عساكر .
(٢) أحمد أمين " فجر الإسلام " دار الكتاب العربي بيروت ط١٠ ص ٨٥

وأصبح الطريق مفتوحاً إلى قلب مصر ، فاتجه عمرو بجيشه إلى بلبيس .

وقد مال سكان مصر من الأقباط مع المسلمين على البيزنطيين نتيجة للإدارة السيئة لهؤلاء ، بالإضافة إلى السياسة الدينيَّة التي سارت عليها الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة في اضطهاد مسيحي مصر الأقباط ، حتى انحاز عدد كبير من السكان الأصليين إلى جانب المسلمين ، وهاجموا أحياناً الجنود البيزنطيين أينما صادفوهم وسلَّموهم للمسلمين بعد تجريدهم من سلاحهم . (١)

لماذا رحَّب المصريون بالفتح الإسلامي ؟

لم يعتبر المصريون الفتح العربي الإسلامي غزواً واحتلالاً إنما اعتبروه منقذاً لهم من الظلم الروماني ، فقد سمعوا بعدل المسلمين في الأمم التي فتحوها ، وقد كان حالهم مع الفاتحين المسلمين كحالهم مع الإسكندر الأكبر " ذو القرنين رسول الله (٢) " .

والذي يؤكد ترحيب المصريين بالمسلمين ومساعدتهم في حربهم ضد البيزنطيين هو دخول المصريين في الإسلام أفواجاً وهم الذين قاوموا بل استشهدوا في سبيل الدفاع عن عقيدتهم ضد الرومان وغيرهم .

أتمَّ عمرو بن العاص فتح مصر عام ٢٠ هـ / ٦٤١ م وأظهر عمرو بن العاص بعد الفتح تسامحاً شديداً في معاملة المصريين فسمح

---

(١) د. ناصر الأنصاري " المجمل في تاريخ مصر " دار الشروق ص ٩٥ .
(٢) لمعرفة المزيد حول هذا الموضوع راجع كتابنا " حضارات مصر ونهضاتها " دار زهور المعرفة والبركة .

للبطريك بنيامين بالعودة إلى الإسكندريَّة ، بعد أن ظلَّ مختبئاً حوالي ١٣ سنة في عهد البيزنطيين مما أدَّى إلى لم شمل الأقباط الذين حصلوا على حرية كاملة في إقامة شعائرهم ، فلم يحفل المسلمون بالخلافات الدينيَّة بين المسيحيين ، والتي كانت تميِّز الحكم البيزنطي ، ولم يعد الأقباط يخشون أظهار عقيدتهم ، فقامت الكنيسة القبطيَّة بأنشطتها الدينيَّة دون تدخُّل من السلطة الحاكمة . (١)

لقد فرح الأقباط بخروج الروم (البيزنطيين) من مصر ، وعبَّر البطريك بنيامين لعمرو بن العاص عن فرح المسيحيين بقوله : " كنت في بلدي وهو الإسكندرية فوجدت بها أمناً من الخوف ، واطمئناناً بعد البلاء ، وقد صرف الله عنَّا اضطهاد الكفرة (يقصد الروم) وبأسهم " وقال أيضاً عن نفسه وعن بقية القبط : " لقد فرحوا كما يفرح السِّخال (٢) إذا ما حُلَّت لهم قيودهم وأطلقوا ليرشفوا من ألبان أمهاتهم " (٣)

لقد عامل المسلمون أقباطَ مصر معاملة الأهل والأصهار لا معاملة الذل والصَّغار التي كان يعاملهم بها الرومان ، ولم تكن معاملة المسلمين هذه أقباط مصر نابعة من تعاليم الإسلام العامة فحسب إنما من توصية خاصة من رسول الله ﷺ للمسلمين بأهل مصر خيراً .

فأقباط مصر لهم شأن خاصٌّ ومنزلة متميِّزة، فقد أوصى بهم رسول الله ﷺ وصية خاصَّة، يعِيَها عقل كلُّ مسلم ويضعها في السويداء من

---

(١) نفسه ص ٩٦ .

(٢)(السخلة) الذكر والأنثى من ولد الضأن والمعز ساعة يولد (ج) سخل وسخال وسخلان . المعجم الوسيط .

(٣) د. أحمد محمد صالح " مصر الإسلامية " مكتبة الشباب ص ٣١ .

قلبه، فقد روت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ أوصى عند وفاته فقال: " اللهَ اللهَ في قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عُدَّة وأعوانًا في سبيل الله" [رواه الطبراني]

وفي حديث آخر أن رسول الله ﷺ قال : " ... استوصوا بهم (يعني قِبْط مصر) خيرًا، فإنهم قوَّة لكم، وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله "

[رواه أبو يعلى]

روى مسلم، عن أبي ذر ، أن رسول الله ﷺ قال : " إنكم ستفتحون أرضًا يُذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذِمَّة ورَحِمًا ".

وفي رواية: "إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمَّى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذِمَّة ورَحِمًا "، أو قال : " ذِمَّة وصِهرًا "

الذمة: هي الحرمة والحق، وهي هنا بمعنى الذمام، وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، وأما الصهر، فلكون مارية أم إبراهيم منهم. (١)

رأي أقباط مصر في الفتح العربي الإسلامي

لقد صدَّقَ الواقع التاريخي ما نبَّأ به الرسول ﷺ فقد رحَّب الأقباط بالمسلمين الفاتحين لما بينهم من ذمَّة ورحماً وصهراً ، وفتحوا لهم صدورهم، رغم أن الروم الذين كانوا يحكمونهم كانوا نصارى مثلهم، ودخل الأقباط في دين الله أفواجًا، حتى إن بعض ولاة بني أميَّة فرض الجزية على مَن أسلم منهم، لكثرة مَن اعتنق الإسلام.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم . دار إحياء التراث العربي – بيروت ج١٦ص ٩٧ .

يقول د. ميلاد حنا : " في القرن السابع دخل العرب إلى مصر في ظروف خاصة غير متكررة إذ لم يتم الغزو بحد السيف ، بل رحَّب المصريون بالعرب كجزء من الخلاص في " عهد الاضطهاد العظيم " والذي كان قد سنَّه هرقل إمبراطور الرومان لإخضاع المصريين لعقيدة ومذهب مسيحي يختلف عن المذهب الأرثوذكسي الذي تمسكوا وناضلوا في سبيل الاحتفاظ به . " (١)

يقول المؤرخ الكبير يعقوب نخلة : " ولما ثَبُتَ قدم العرب في مصر شرع عمرو بن العاص في تطمين خواطر الأهلين واستمالة قلوبهم إليه واكتساب ثقتهم به وتقرب سراة القوم وعقلائهم منه وإجابة طلباتهم وأول شيء فعله من هذا القبيل استدعاء بنيامين البطريرك الذي اختفى من أمام هرقل ملك الروم وذلك أنه كان بين رؤساء الأقباط المتقربين من عمرو واحد يسمى " شنودة " فتقدم إليه وأعلمه بخبر البطريرك وما كان من أمر هروبه واختفائه وطلب منه أن يأمر بعودته فلبَّي طلبه وكتب أماناً وأرسله إلى جميع الجهات يدعو فيه البطريرك للحضور ولا خوف عليه ولا تثريب . ولما حضر وذهب لمقابلته ليشكره على هذا الصنيع أكرمه وأظهر له الولاء وأقسم له بالأمان على نفسه وعلى رعيته وعزل البطريرك الذي كان أقامه هرقل وردَّ بنيامين إلى مركزه الأصلي معزَّزاً مكرَّماً وهكذا عادت له المياه إلى مجاريها وبعد اختفاء مدة طويلة قاسى فيها ما قاساه من الشدائد وكان بنيانين هذا موصوفاً بالعقل والمعرفة

(١) د. ميلاد حنا " الأعمدة السبعة للشخصية المصرية " نهضة مصر ص ٢٥ .

والحكمة حتى سماه بعضهم (بالحكيم) وقيل أن عمراً لما تحقق ذلك منه قرَّبه إليه وصار يدعوه في بعض الأوقات ويستشيره في الأحوال المهمة المتعلقة بالبلاد وخيرها ، وقد حسب الأقباط هذا الالتفات منَّة عظيمة وفضلاً جزيلاً لعمرو ." (١)

لقد أعاد عمرو بن العاص الحق لأصحابه فأعاد كنائس المصريين وأديرتهم التي اغتصبها منهم الرومان إليهم وبذلك زالت أسباب الشقاق بين مسيحيي مصر والمستوطنين الرومان الذين آثروا البقاء في مصر على الرحيل عنها .

يقول د. ميلاد حنا " ويبدو أن عمرو بن العاص كان متفهماً ومقدِّراً لموقف المصريين الأقباط من ترحيبهم به لسخطهم على النظام البيزنطي وأتصور – بمفهومي سياسي – أنه لا بد من أن يكون قد قطع على نفسه وعوداً بأن يترك الأقباط وشانهم فيما يتعلق بالعقيدة الدينيَّة ، فضلاً عن أنه قد خفف الضرائب عن الأهالي .

وتتفرد مصر في أن لها علاقة مع الإسلام منذ الأيام الأولى إذ يروي المؤرخون أن الرسول ﷺ قد بعث برسائل إلى الحكام البارزين في ذلك العهد في السنة السادسة من الهجرة وكان من بينهم مقوقس مصر .

ومن المعروف أن المقوقس قد أرسل هدية إلى " الرسول " جاريتين ودابتين وعسل وثياب وأن " الرسول " قد تزوج من " مارية القبطية " وقد ولدت له " إبراهيم " الذي مات قبل أن يبلغ ستة عشر شهراً .

---

(١) يعقوب نخلة روفيله " تاريخ الأمة القبطية " مصدر سابق ص ٥٥ .

أما " أخت مارية " فقد تزوجها " جهم بن قيس العبدري " وهي " أم زكريا بن جهم " والذي كان خليفة " عمرو بن العاص " في حكم مصر.

وهكذا توجد لمصر علاقة خاصة ومتميزة منذ فجر الإسلام ولكن بسرعة تحوَّل الإسلام إلى قوة سياسيَّة وعسكريَّة هائلة ولذلك فإن الحكام العرب – في نشوة انتصاراتهم وفتوحاتهم وفي السنوات الأولى من عهد الخفاء الراشدين – لم يحاولوا أن يفرضوا الدين الجديد مع الغزو ذاته ، إذ كان هدفهم الأساسي هو تثبيت أقدام الحكم في المناطق المفتوحة ثم تجهيز الجيوش لتوسيع الإمبراطوريَّة الإسلاميَّة . (١)

كيف حكم عمرو بن العاص مصر ؟

عرفنا كيف ساعد المصريون المسلمين في حربهم ضد الاحتلال الروماني ، وكيف أحسن عمرو بن العاص إليهم ، ولبَّى طلباتهم ، وأجاب رغباتهم ، والآن نذكر كيف حكم عمرو بن العاص مصر .

يقول يعقوب نخلة : " أخذ عمرو في تنظيم البلاد وإذ كان يعلم أن صاحب الدار أدرى بما فيها استعان بفضلاء القبط وعقلائهم على تنظيم حكومة عادلة تضمن راحة الأهالي والوالي معاً فقسَّم البلاد إلى أقسام يرأس كل منها حاكم قبطي له اختصاصات وحدود معينة ينظر في قضايا الناس ويحكم بينهم ورتَّب مجالس ابتدائية واستئنافية مؤلفة من أعضاء ذوي نزاهة واستقامة وعيَّن نواباً مخصوصين من القبط ومنحهم حق التداخل في القضايا المختصَّة بالأقباط والحكم فيها

(١) د. ميلاد حنا " الأعمدة السبعة للشخصية المصرية " مرجع سابق ص ٩٩ .

بمقتضى شرائعهم الدينية والأهلية فكانوا بذلك في نوع ما من الحرية والاستقلال المدني وهي ميزة كانوا قد جُرِّدوا منها في أيام الدولة الرومانية ولذا لم يجعلوا الحكومة في راحة بال .

وضرب الخراج على البلاد بطريقة عادلة وولَّى عليه مُتولياً من ذويه يقبضه أقساطاً في آجال معينة حتى لا يتضايق أهل البلاد .

وتَّب الدواوين فاختص الأقباط بمسك الدفاتر وسائر الأعمال الكتابيَّة والحسابيَّة وكانت كلها تجري باللغة القبطيَّة وبلغ ما جباه عمرو من الخراج في السنة اثني عشر مليوناً من الدنانير مع أن الذي كان يجبيه المقوقس في أيام الروم لم يكن أقل من ثمانية عشر مليوناً .

وبالجملة فإن القبط نالوا في أيام عمرو بن العاص راحة لم يروها منذ أزمان "(١)

أرأيتم كيف حكم المسلمون مصر عند الفتح لقد عرفوا قدر مصر وعظمة أهلها فلم يتركوهم يقيمون شعائرهم الدينية التي اضطهدهم الرومان بسببها فحسب بل منحوا فضلاءهم حرية إدارة شئون المحليات الدينيَّة التي حرَّمها الرومان عليهم ، وإدارة شئون المحليات المدنيَّة التي حَرَمَهم الرومان منها .

كيف دخل المصريون في الإسلام أفوجا ؟

إن من أهم أسباب دخول أقباط مصر في الإسلام هو الخلافات المذهبيَّة المسيحيَّة المعقَّدة التي أثيرت عبر المجامع المسكونيَّة والتي

(١) يعقوب نخلة روفيله " تاريخ الأمة القبطية " مصدر سابق ص ٥٦ ، ٥٧

أدَّت إلى التقاتل والتناحر ، في مقابل يسر الإسلام ووضوح عقيدته وسهولة شريعته فجميع المسلمين يتفقون على أصول دين واحدة ، ويعذر بعضهم بعضاً في اختلاف التنوع الذي قد يقع في بعض الفروع ففي هذا الاختلاف سعة ورحمة .

كما أن الإسلام لا يفرض " مؤسسة دينيَّة دنيويَّة " وأن العلاقة الدينيَّة مباشرة بين العبد وربه تعالى فلا كهنوت في الإسلام ولا رجال دين يتوسطون بين العبد وربه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة : ١٨٦]

ماذا استفاد المصريون من الفتح الإسلامي ؟

لقد استفاد المصريون من الفتح العربي الكثير ، استفادوا توحيد الله الخالص وشريعة الله الخاتمة الغراء ، وسيرة النبي العطرة القدوة الحسنة، وسير الخلفاء الراشدين المهديين ، ومعاشرة صحابة رسول الله والتتلمذ على أيديهم .

كما استفادوا بمصاهرة العرب قوَّة في النسل وإثراء في الثقافة والمعرفة، وانفتاحاً أكثر على شعوب إسلاميَّة عربيَّة ومُسْتَعْجَمَة ، وتعلُّم لغة القرآن الكريم والحديث الشريف وعلماء الإسلام .

وفَتْحُ المسلمين مصر وما صاحب ذلك من فوائد جمَّة للمصريين لم يغيِّر طبيعتهم ويجعلهم عرباً عاربة أو مُسْتَعْرِبة إنما أيقظ همتهم ، وشحذ عقولهم ، وأسقط نير الاحتلال الغربي عن كاهلهم ، وحطَّم القيود

التي كانت تكبلهم ، وأصقل معدنهم النفيس فانطلقوا يصنعون الحضارة الإسلاميَّة متعاونين مع إخوانهم من المسلمين .

هل أحرق المسلمون مكتبة الإسكندرية ؟

لم يكن الفتح العربي مصر أبداً احتلالاً استيطاناً بغيضاً اغتصب البلاد واستذَّل العباد ونهب ثرواتها ، إنما كان فتح خير وبركة حرَّر البلاد وأكرم العباد ونمَّى الثروات .

أما الحديث عن أن عمرو بن العاص حرق مكتبة الإسكندرية فهو حديث خرافة فعندما دخل عمرو بن العاص الإسكندرية عام ٦٤٢م لم تكن مكتبة الإسكندريَّة موجودة حتى يحرقها حيث إنه ثبت أن مكتبة الإسكندريَّة تمَّ إحراقها عن آخرها في زمن الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر عام ٤٨ ق.م " ، ولم يرد ذكرها في كتب الأقدمين كاليعقوبي، والبلاذري، وابن عبد الحكم، والطبري، والكندي، ولا في تاريخ من جاء بعدهم وأخذ منهم كالمقريزي، وأبي المحاسن، والسيوطي، وغيرهم .

***